محاضرات موجهة لسنة اولى تكوين أساسي علوم اجماعية لسانس ل.م.د في مقياس :

الفرد والثقافة

استاذ المقياس : جمعي فاطمة الزهراء

السداسي الأول 2022/2021

المحاضرة الاولى : في ماهية الثقافة ونشأتها وتطورها التاريخي .

تمهيد :

أثبت الباحثون في مجال السلوك الانساني ودراسة المجتمعات أن الان الانسان هو من يمتلك الثقافة مهما اختلفت طريقة عيشه وأسلوبه وأي كان نظامه الاجتماعي فهو الكائن الوحيد الذي يمتلك سلوكا ثقافيا خاضعا للعقل يسمح له بترسيخ المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية ...الخ وتأصيلها في الاجيال المتلاحقة عن طريق تلك المورثات التي تشمل السلوك والعادات ، مما يستدعي الحفاظ عليها وحمايتها من الزوال كأحد أهم السمات التي تعطي هوية معينة لمجتمع معين بكل ما تحمله من تصورات وأفكار تعتبر النموذج الأساسي في تحديد الحضارة الانسانية فالمجتمعات التي لا تملك ثقافة لا تملك حضارة حسب "**مالك بن نبي**" حين يعتبر أن من فقد حضارته حتما فقد تاريخه من هنا كان موضوع الثقافة موضوع أساسي في العديد من الأبحاث والدراسات لما يشمله من معايير تحديد الحضارات وزوال هذه الثقافة هو زوال الحضارات .

أولا : مفهوم الثقافة culture :

أ/ **لغة :** ورد الفعل ثقف في القرآن الكريم في الآية :**(وقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة أشد من القتل)** سورة البقرة الآية 191.

هنا كلمة ثقفتموهم بمعنى وجدتموهم أي مشركي مكة – الفعل ثقف بمعنى وجد .

كما ورد الفعل ثقف في بعض قواميس اللغة العربية "ثقف ، ثقفا ، ثقافة صار حذقا ، خفيفا ، فطنا وثقفه تثقيفا أي سواه وهي وهي تعني تثقيف الرمح وتقويمه "(.

وتستعمل في اللغة ايضا بمعنى الحذق والفطنة وقوة الادراك نقول ثقف الرجل بمعنى التهذيب والتأديب ، ونقول ثقف المعلم الطالب بمعنى تقويم المعوج من الأشياء ، نقول ثقف الصانع الرمح ونقول ثقف الطالب العلم ادراك الشيء والحصول عليه ، فمصطلح الثقافة في مختلف الاستعمالات اللغوية يدل على الحذق والفطنة وسرعة أخد العلم وفهمه فكثيرا مايقال فلانا مثقف بمهنى متعلم بدرجة عالية .

ب/ **اصطلاحا** : أن دراسة الثقافة هي امتداد بحثي طويل الأمد في سبيل تحديد مفهوم اصطلاحي موحد للثقافة الذي يعتبر أكثر المصطلحات تعقيد في الحقل المعرفي يقول "**ستيفان جيودمان Gudeman**

Stephen " اثناء المؤتمر الذي عقده البنك الدولي عن الثقافة والعمل العام " أننا لو سألنا ألف شخص عن الثقافة فالأغلب اننا سوف نحصل منهم على أكثر من ألف تعريف نظرا لاختلاف وتباين خبراتهم الخاصة.

ومع هذا سوف نحاول تقديم بعض التعريفات الاصطلاحية لمفهوم الثقافة عند العديد من المفكرين :

يرى المفكر الجزائري "**مالك بن نبي**" في كتابه " **مشكلة الثقافة** " انها "الكلمة التي تحمل في طياتها العادات المتجانسة والتقاليد المتكاملة وعبقريات متقاربة وعواطف متشابهة ، أما التطبيق فحددها في اطار التربية من خلال أهدافها وقد اعتبر أن الثقافة ليست علما يخص طبقة معينة من المجتمع بل هو عبارة عن قانون أو دستور يشمل جميع الطبقات بما تحتويه من تنوع اجتماعي مختلف وبالتالي تتحول الثقافة إلى أسلوب حياة في المجتمع تؤثر على الكل .

وقد عرفها ايضا : "**ماوستي تونغ** "في كتابه "**الديمقراطية الجديدة**" أن كل ثقافة معينة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معين وقد اتفق هذا التعريف مع الفكر الماركسي الذي يعتبر الثقافة ثمرة مجتمع وبالتالي يشير إلى معنى الثقافة المادي في تفسيرها لخصوصية كل مجتمع وقد اقر بذلك العلاقة بين الأشكال المادية (الحياة في مجتمع معين) وبين أفكار هذا المجتمع .

أما الأمريكي "**رايف لينتون**" يذهب إلى القول أن الثقافة "كل ما تتداخل اجراؤه تداخلا وثيقا ولكن من الممكن تتعرف فيه على شكل بنائي معين أي تتعرف فيه على عناصر مختلفة هي التي تكون الكل " ، بحيث يعتبر الثقافة كل متناسق من السلوك المتعلم ...والعناصر المكونة لهذا السلوك يشترك فيها أفراد المجتمع وتنتقل بواسطتهم ، كما أن الثقافة عنده هي اطار من الافكار ، حيث ركز "**لينتون**" في هدا التعريف على العموميات من الثقافة باعتبارها جذور الحياة للمجتمع كالدين ، اللغة ، التقاليد ...الخ اما الافكار هي التي تكون على أساسها التفرقة الاجتماعية وهي ما يشكل الخصوصيات من الثقافة بين طبقات المجتمع .

اما "**ريموند وليامز Rymande Wiliumn**" فقد تطرق الى مصطلح الثقافة واعتبرها بأنها "واحدة من كلمتين أو ثلاث كلمات أكثر تعقيد في اللغة الانجليزية واقترح ثلاث تعريفات:

اولا : يمكن استخدام الثقافة للاشارة إلى عملية عامة للتطور الفكري والروحي والجمالي .

بمعنى عن التكلم عن التطور لابد من ربطه بهذه العناصر الثلاثة .

ثانيا : يمكن استخدام الثقافة "للايحاء بطريقة محددة للحياة سواء أكانت لشعب أو فترة أو مجموعة .

بمعنى للحديث عن الثقافة لابد من الحديث عن ما يصنعها من تعليم وانجازات وغبرها.

ثالثا : يمكن استخدام الثقافة "للاشارة إلى الأعمال والممارسات الفكرية بخاصة النشاط الفني"

والثقافة بهذا المعنى تدل على الممارسات .

كما قدم "**مالك بن نبي**" ايضا اشارة مهمة انطلاقا من تعريف المدرسيتين للثقافة :

أ/ **المدرسة الغربية الراسمالية** : التي ترى ان الثقافة لفلسفة الفرد وفكره فهي ثمرة انسان .

ب/ المدرسة الماركسية : التي ترى أن الثقافة في جوهرها هي ثمرة مجتمع بمعنى هو صانع الثقافة .

وقد اضاف "**مالك بن نبي**" مدرسة ثالثة وهي **والمدرسة الاسلامية** التي ترى ان الثقافة انعكاسا لفلسفة الفرد والمجتمع في آن واحد وبشكل متوازن().

ولعل ابرز تعريف للثقافة لدي الغرب والعرب هو تعريف الانجليزي "**ادوارد تايلور Edward Taylor**" في كتابه "**الثقافة البدائية**" 1871 الذي يعرفها " هي ذلك الكل المركب وبعض الترجمات تقول المعقد الذي يضم المعرفة ، المعتقدات ، والفن والاخلاق والقانون والتقاليد وكل العادات والقدرات التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع ".

وقد لخص "**عبد الرحمن الزنيدي**" في كتابه "**المثقف العربي بين العصرانية والاسلام**" هذا التعريف في خمسة (05)عناصر مهمة هي :

اولا: ان قضايا الثقافة هي قضايا ذات البعد الانساني – لامادي (عقائد ، قيم ، فنون ، نظم ، أعراف).

ثانيا: ان هذه القضايا تتمثل في صورى بناء متكامل "كل مركب وليست جزئيات منفصلة عن بعضها.

ثالثا: أنها ليست ميزا فرديا لشخص ، وانما هي اجتماعية فالشخص يعيشها في ظل مجتمع أو امة تعيشها كذلك.

رابعا: أنها ليس معارف نظرية ، فلسفية أو فكر مجرد ولكنها حياة اجتماعية وواقع فكري وسلوكي يتحرك به الانسان .

خامسا: انها بمجموعها مميزة لاهل ذلك المجتمع أو لتلك الأمة عن مجتمعات وأمم أخرى ، وهذا التمايز بين بين الأمم انما هو بهذه القضايا والعقائد والقيم والنظم والأعراف أي بالثقافة .

والثقافة هي "ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز فضلا عن الانجازات المتميزة للجامعات الانسانية ، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة ، ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية وكافة القيم المتصلة بها أما الانساق الثقافية فتعبر عن نتاج السلوك من ناحية وتمثل الشروط الضرورية من ناحية أخرى(.

اما المؤتمر العالمي الخاص بالثقافة الذي انعقد في المكسيك سنه 1982 صدر عنه اعلان مكسيكو للثقافة فقد عرفها "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وتشمل الفنون والأدب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الاساسية للإنسان والنظم والتقاليد والمعتقدات(.

ويعتقد معظم علماء الانتروبولوجيا ان الحضارة ما هي إلا مجرد نوع خاص من الثقافة أو بالأحرى شكل "معقد" او "راق" من أشكال الثقافة ، ولذلك لم يعتمدوا قط التمييز الذي وضعه علماء الاجتماع بين الثقافة والحضارة فمن المعروف ان بعض علماء الاجتماع يميزون بين الحضارة بوصفها "المجموع الاجمالي للوسائل البشرية وبين الثقافة بوصفها "المجموع الاجمالي للغايات البشرية ".

وتأسيسا على ذلك اعتمد كثير من الباحثين في دراسة الانتروبولوجيا الثقافية /النفسية/الاجتماعية على ثلاثة مفهومات اساسية هي

- **التحيزات الثقافية :** وتشمل القيم و المعتقدات المشتركة بين الناس .

- **العلاقات الاجتماعية :** وتشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس ببعضهم بعض.

- **انماط اساليب الحياة :** التي تعد الناتج الكلي المركب من تحيزات ثقافية وعلاقات اجتماعية .

هذه بعض التعريفات من مجموع التعريفات التي تناولت مصطلح الثقافة وحاولت تقديم تعريف اصطلاحي متفق عليه للثقافة ، وقد استخدمت من قبل علماء العصر الحديث للدلالة عللى الرقي الفكري والاجتماعي والحضاري ولهذا يعتبر بعض الانثروبولوجين الحضارة ما هي إلا نوع خاص من الثقافة أو شكل معقد من اشكال الثقافة.

المحاضرة الثانية : محددات وخصائص الثقافة :

يتفق الجميع على أن الثقافة خاصية انسانية انفرد بها الانسان دون سائر المخلوقات ، فهي ذات خاصية الاكتساب والتغير والانتقال بمعنى انها منقولة من جيل لآخر بقصد الحفاظ على السمات الانسانية والتمايز الحضاري فلكل مجتمع ثقافة وأسلوب حياة كما عرفها العديد من العلماء امثال "**مالك بن نبي**" انها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة " فهي كل ما يشكل المحيط الذي يعيش فيه الانسان . وقد تميزت الثقافة بمجموعة من المحددات والخصائص من اهمها:

الثقافة إنسانية : فمن أولى خصائص الثقافة أنها خاصة بالإنسان وحده دون بقية المخلوقات، والإنسان هو الحيوان الوحيد القادر على الاختراع والابتكار من أجل تلبية حاجاته المختلفة ؛ وهذا لوجود جهاز عصبي متطور عنده، وقدرات عقلية متفوقة تصنع الأدوات والآلات المختلفة بالإضافة إلى وجود لغات خاصة به، وقيم تنير له الطريق.

الثقافة اجتماعية: فهي تنشأ عن طريق الاتصال والتفاعل بين الأفراد في البيئة الاجتماعية، ويكتسب الإنسان ثقافته من مجتمعه منذ مولده عن طريق الخبرة الشخصية. وبما أن كل مجتمع يتميز بثقافة معينة محددة بزمان ومكان معين، فإن الإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه منذ صغره، دون أن تؤثر في ذلك العوامل البيولوجية.

الثقافة انتقالية: أن التراث الثقافي من اختراع الإنسان، وينتقل من جيل إلى آخر، ومن فرد إلى آخر عن طريق التعليم المقصود وغير المقصود. وتعني الثقافة انتقالية أنها قابلة للانتقال، فالإنسان يستطيع أن يتخذ من إنجازات البشرية السابقة أساسًا يبنى عليه الجديد، وبذلك تتقدم الحضارة ويتراكم التراث الثقافي، ولا يجبر الفرد على البدء من جديد طريق حضارته الإنسانية.

الثقافة أفكار وأعمال: فالإنسان يقيم علاقات مع عوالم ثلاثة: مادية، واجتماعية، وفكرية أو رمزية. وقد تمكن من التحكم في البيئة المادية وحوّلها إلى آلات وأدوات ومدارس ... إلخ. أما الأفكار فقد اختراع الإنسان نظم اللغة والتعليم والفن. ومن خصائص الثقافة أنها تتكون من مجموعة الأعمال والأفكار المتداخلة العناصر والقطاعات.

الثقافة متغيرة ومتصلة: تتغير ثقافة المجتمعات من وقت إلى آخر، ولكن درجة التغير وأسلوبه ومحتواه تختلف من ثقافة إلى أخرى. فقد يسير التغير ببطء شديد نتيجة عزل المجتمع وجموده أو صغره، وقد يحدث التغير بسرعة كبيرة نتيجة الانتشار الثقافي وانفتاح المجتمع وتوافر الحوافز فيه، ومن خصائص الثقافة أنها دائمة التغير؛ لأنها نموّ مستمرّ.

الثقافة متنوعة المضمون: أنها تختلف في مضمونها حتى تصل أحيانًا حد التناقض، فهناك مجتمعات تتيح تعدد الزوجات، ومجتمعات تعتبرها جريمة يعاقب عليها القانون. ويرجع هذا التباين في المضمون، إلى قدرة العقل البشري على اختراع الافكار والنظم المتنوعة المتعددة، ونوع الطاقة المستخدمة في المجتمع، وطبيعة البيئة الجغرافية، وحجم الجماعة الإنسانية، والقيم، ومدى الاتصال والتعاون بين الجماعات الإنسانية.

الثقافة متشابهة الشكل: فالإطار الشكلي أو الخارجي للنظم الثقافية المختلفة، متشابه مهما اختلف مستواها الحضاري، ففي كل ثقافة نجد القطاعات الثلاثة: المادي والاجتماعي والرمزي، وفي كل ثقافة هناك نظام عائلي أو اقتصادي مع اختلاف في المضمون.

الثقافة ذات خاصية مادية ومعنوية معا : ثقافة المجتمع تحدد نمط وأسلوب الحياة في هذا المجتمع والعناصر المادية هي عبارة عن تلك العناصر التي أتت نتيجة للجهد الإنساني العقلي والفكري وفي نفس الوقت لا تكتسب الثقافة وظيفتها ومعناها إلا بما يحيطها من معاني وأفكار واتجاهات ومعارف وعادات هذا فضلا عن أن العناصر المادية تؤثر بدورها في مفاهيم الأفراد وقيمهم واتجاهاتهم وعلاقاتهم أي أن الإحالة متبادلة بين العناصر المادية واللامادية داخل البناء الثقافي ومن ثم فإن البناء الثقافي يشمل العنصرين معا في آن واحد.

الثقافة عضوية : إذا كانت الثقافة تشتمل علي العناصر المادية واللا مادية معا فإن كلا من العناصر المادية وغير المادية يرتبط بعضها ببعض ارتباط عضويا فيؤثر كل عضو في غيره من العناصر كما يتأثر به فالنظام الاقتصادي يتأثر بالنظام السياسي والعكس صحيح كما أن النظام التعليمي يتأثر بالنظامين معا ويؤثر فيهما ومن جهة ثانية فإن العادات والتقاليد تؤثر في نظام الأسرة من حيث طريقة الزواج والعلاقة بين الكبير والصغير وإذا تغير أي عنصر من هذه العناصر فإنه سيتبعه تغيرا حتميا في النظم الأخرى أضف إلي هذا أن التغير في أساليب المعيشة يتبعه تغييرا في القيم والعادات ومن ثم فإن عناصر الثقافة يرتبط بعضها بالبعض ارتباطا عضويا يتسم هذا الارتباط بالديناميكية وليس بالاستاتيكية.

الثقافة تراكمية :تتميز بعض عناصر الثقافة بالتراكم ذلك أن الإنسان يبدأ دائما من حيث انتهت الأجيال الأخرى وما تركته من تراث وبتراكم الجوانب المختلفة تتطور بعض جوانب الثقافة وتختلف درجة التراكم والتطور من عنصر إلي آخر فمثلا تتطور اللغة تراكمي يأخذ طريقا غير تراكم القيم وغير تراكم التطور العلمي والتكنولوجي ومعنى هذا أن الإنسان لا يبدأ حياته الاجتماعية والثقافية من العدم وإنما يبدأ من حيث انتهت الأجيال الراشدة الحية التي ينتمي إليها ومن التراث الاجتماعي الذي يعبر عن خبرات الأجيال السابقة فبعض

عناصر الثقافة في أي مجتمع تعبر عن خلاصة التجارب والخبرات التي عاشها الأفراد في الماضي بما تعرضوا له من أزمات وما رسموه من أهداف وما استخدموه من أساليب وما تمسكوا به من قيم ومعايير وما نظموه من علاقات وتتراكم الجوانب المختلفة علي هذا النحو بطرق وصور مختلفة.

إمكانية انتقال عناصر الثقافة بالاحتكاك : فكلما زاد الاحتكاك والتعامل بين مجتمع وآخر كلما زادت درجة الانتقال الثقافي بين هذين المجتمعين ولكن المجتمع ذو الثقافة الأقوى والأفضل يؤثر بدرجة أكبر في المجتمع ذي الثقافة الأقل نجاحا وقوة وبالتالي فالثقافة ديناميكية متغيرة.

الثقافة متنوعة المضمون : تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة قد تصل احياناً إلى حد التناقض ، فهناك مجتمعات تتيح نظام تعدد الزوجات، بينما مجتمعات أخرى تعتبر هذا العملية جريمة يعاقب عليها القانون ويرجع هذا التباين في المضمون ، إلى قدرة العقل البشري على اختراع الافكار والنظم المتنوعة المتعددة ، ونوع الطاقة المستخدمة في المجتمع ، وطبيعة البيئة الجغرافية ، وحجم الجماعة الإنسانية ، والقيم ، ومدى الاتصال والتعاون بين الجماعات الانسانية .

الثقافة متشابهة الشكل إذا نظرنا إلى الإطار الشكلي أو الخارجي للنظم نلاحظ تشابهاً واضحاً في جميع الثقافات مهما اختلف مستواها الحضاري ، ففي كل ثقافة نجد القطاعات الثلاثة : المادي والاجتماعي ، والرمزي ، وفي كل ثقافة هناك نظام عائلي أو اقتصادي مع اختلاف في المضمون .

الثقافة قابلة للانتشار بطرق عديدة أهمها التعليم ، ويلعب دوراً مهما في عملية النقل الثقافي.

المحاضرة الثالثة : التطور التاريخي لكلمة ثقافة :

كلمة ثقافة ذات جذور تاريخية ضاربة في قدم الفكر الانساني وذات امتداد تاريخي في اللغة الفرنسية في عصر النهضة ، وانتشرت نتيجة اقترانها باللغات الأخرى (الانجليزية والفرنسية) وحسب تعبير "مالك بن نبي"ظاهرة "التثقيف تلقائية هي ثمرة طبيعية لأي مجتمع في أي وضع كان بمعنى أن العلماء باستطاعتهم التحدث عن الثقافة حتى في المجتمعات البدائية باعتبارها تعكس الطريقة التي يتعلم بها الفرد فهي سلوك "**مكتسب** "و"**مشترك**"

واذا عدونا إلى أصل كلمة "**ثقافة cultura**" فهي ذات اصل لاتيني تعني "رعاية الحقول أو قطعان الماشية ، ثم ظهرت في القن الثامن عشر لتدل على جزء من الارض المزرعة

وبعدها كانت محاولات مبكرة لتحديد مفهوم الثقافة لدى الفكر اليوناني القديم على الرغم من أن الفكر الاغريقي لم يعرف كلمة تعادل مفهوم الثقافة بالمعنى الحديث إلا أنه استخدم كلمات يقترب معناها من ذلك مثل كلمة "**تربوس tropos**" والتي تعني الطرز والحرف وتشير إلى جانب من جوانب الثقافة باعتبارها كسب من وسط معين ، وكذلك استخدمت كلمة "**اثوس Athos**" والتي تدل في الأصل على معني البيت وهي احدى صور الثقافة المادية بالمعني الحديث .

أما "**أفلاطون**" اعتبر الانسان يحقق ذاته ووجوده من خلال المجتمع الذي يعيش فيه ، وهي نفس فكرة المدرسة الماركسية التي تعتبر الثقافة ثمرة مجتمع وهومن يطبع الانسان بمجموعة المعايير وهو نفس ما ذهب إليه "**ارسطو**" بقوله الانسان حيوان اجتماعي للاشارة إلى دور المجتمع الذي يعطي صبغة الانسانية للفرد.

اما "**هيردوت Herodote**" مؤسس علم التاريخ يعتبر "الاعراف سيدة كل شيء" وهنا يلوم ملك فارس لمخالفته الأعراف العريقة لسائر الشعوب.وهو يثبت الدراسات الحديثة في مجال الثقافات البدائية التي توصلت إلى مجموعة من الثقافات الانسانية دلت كلها على طرق وأساليب الحياة التي تختلف من حسب خصوصية كل مجتمع انساني والتي نعتبر ثقافة تلك المجتمعات.

ومن خلال ما سبق يتضح ان اسهام اليونان لم يكن قاصرا على تعميق التفكير في مشكلة "الثقافة" بل يمكن القول أن اسهامهم كان في مختلف أنواع الفكرة المتصلة "بالثقافة" .

أما اسهام الرومان فقط تمثل في لفظة ذاتها "ثقافة culture" فالكلمة كانت تشير إلى استصلاح الحقول والأراضي لحصد حبوبها ونباتها وثمارها ، وتوجد كلمة " culte" وتعني عبادة الآلهة وهنا نلاحظ انصهار كلمة ثقافة في التراث الاغريقي على الأقل من الناحية اللغوية.

أما في العصور الوسطى شهدت مفهوم "الثقافة" تأويلا متميزا طبقا لتعاليم المسيحية خاصة الكاثوليكية فإن الاهتمام بحياة التأمل اكثر من الاهتمام بحياة العمل ، وحياة التأمل وحدها كانت تتيح بلوغ ما كان يعد ثقافة في ذلك الوقت ومعرفة ما وراء الحياة بمعنى مطلب مقابلة الانسان الله وجها لوجه وتلاوة النصوص المقدسة هو أساس الحياة .

و في التراث الاسلامي أشر "**مالك بن نبي**" في كتابه "**مشكلة الثقافة**" أن أصلها لفظة قرآنية وفي معناها اللغوي تدل على عدة معاني كالفهم والإدراك والفطنة كما أشرنا اليه في المعنى اللغوى للكلمة سابقا .

وإذا ما رجعنا في مجال البحث لم نجد أثر لهذه الكلمة في أعمال "ابن خلدون" الذي يعد مرجع اول لعلم الاجتماع عند العرب في العصر الوسيط وفي كتابه "**المقدمة**" وردت مرتين او ثلاثة مرات بصورة ادبية بوصفها مفردة لغوية دون الوقوف عند كلمة ثقافة بوصفها مفهوما أو ظاهرة اجتماعية ، رغم ابن خلدون قد عقد مقارنة بين الانسان والحيوان ووجد ان الحيوان عدوانيا لا ثقافة له ان الانسان هو صانع للثقافة لقد استخدم "ابن خلدون" مصطلح "**الحضارة**" .

وحتى في العصر الاموي والعباسي لا أثر لها في اللغة الادبية أو الرسمية ولم تكن هناك أي لوائح أو أعمال تتصل بالثقافة ومع ذلك فإن تاريخ هذه الحقبة يدل على أن الثقافة العربية كانت في قمة ازدهارها ويلاحظ أن هناك تعارض فيما نقول لكن نحنن نقصد وجود الثقافة كظاهرة موجودة في تجليات الممارسة والرقي الحضارة العربية وليس كمسألة لغوية من حيث استعمال اللفظ.

أما فيما بعد العصور الوسطى من القرن 15م إلى غاية القرن 18م لقد اكتسبت كلمة ثقافة معناها الفكري ولم تعد تدل على حالة (الشيء المزروع) بل هي الفعل أي فعل الزراعة وتكون معناها المجازي في القرن 16 م حيث اصبحت تدل على "تثقيف الملكة" اي العمل على تطوير تلك الملكة (معنى الملكة : صفة راسخة في النفس والعقل قائمة عللى استعداد فطري) .

وحتى في نهاية القرن 18م عموما ومع تطور الافكار لم يتأثر المضمون الدلالي للكلمة لكن تحول المعنى من تهذيب الارض إلى تهذيب العقل وبذلك تدعم مفهوم المفهوم الاتيني "**cultura**" الذي استخدم الكلمة بمعناها المجازي.لكن في هذه الفترة بدأت كلمة ثقافة مجازيا ودخلت في معجم الاكاديمية الفرنسية فأصبح يقول ثقافة الأدب ، الفنون ، ثقافة العلوم وغيرها ، ودخلت الكلمة في مفردات عصر الانوار دون ان يستخدمها الفلاسفة وقد اقترنت كلمة ثقافة بكلمة حضارة في هذه الفترة والكلمتان ينتميان إلى نفس الدلالة إلا أنه فيما بعد اصبحت كلمة ثقافة تدل على التطورات الفردية أما كلمة حضارة تدل على التطورات الجماعية ، كما ان الثقافة عموما تشمل الانجازات الفكرية والحضارة هي صورة لتطور الجوانب المادية في الشكل العملي.

كما يمكن القول ان انتقال كلمة ثقافة إلى ألمانيا في النصف الثاني من القرن 18م نالت رواجا كبيرا يقول "**نوربير الياس N.Elias**" "ان سبب النجاح يعود إلى اعتماد هذا المصطلح من قبل البرجوازية والارستقراطية الالمانية واستخدامها لها في معارضتها لارستقراطية البلاط ، والحقيقة أنه لا توجد روابط وثيقة بين البرجوازية والارستقراطية في المانيا على عكس فرنسا فقد كانت طبقة النبلاء معزولة عن الطبقة الاجتماعية الوسطى.

وبعد هذا اصبحت تدل على التقدم الفكري وأصبحت علامة مميزة لألمانيا في القرن 19م وأصبحت السمات المميزة للطبقة المثقفة .

وبعد ان انتشرت بهذا المعنى في ألمانيا اصبحت قليلة الوضوح وصارت تعبر عن وعي وطني يعطي طابع نوعي للشعب الالماني ، فقد فقط سعى المفهوم الالماني "**للثقافة kulture**" منذ القرن 19م الى تحديد الاختلافات القومية خاصة ، وأن ألمانيا كانت تعاني من الانقسامات من الناحية السياسية ، اما فرنسا فقد كانت تربط كلمة ثقافة بكلمة حضارة ايضا.

إن الجدل الفرنسي – الماني حول كلمة ثقافة في القرن 18 م كان يشير إلى عملية استصلاح أو تحسين مستوى كما هو الحال في عملية الزراعة ، أما في القرن 19 م اصبحت تشير إلى تحسين أو تعديل المهارات الفردية من خلال التعليم وقد كان يشير مصطلح الثقافة عند بعض العلماء إلى الاشارة لقدرة الانسان ، أما بحلول القرن 20 م أصبح مفهوما أساسيا في علم الانتروبولوجيا التي انتقلت من دراسة السلالات البشرية (العضوية) إلى دراسة الثقافة والنظم الاجتماعية ، وأخذ علماء الانتروبولوجيا الاجتماعية يستخدمون مصطلح البناء الاجتماعي والذي بدوره يركز على جانب من الثقافة بالمفهوم الحالي وباعتبار المجتمع هو الوسط لظهور الثقافة يقول "فيرث R.Firth" " اذا نظرنا إلى المجتمع على انه يمثل مجموعة من الافراد ، فان الثقافة هي طريقتهم في الحياة ، واذا اعتبرنا مجموعة العلاقات المتبادلة بينهم فان الثقافة تعنى بمظاهر التراكمية المادية واللامادية التي يتوارثا الناس ويستخدمونها ويتنقلونها "(.

وعللى الرغم من ان تعريف "تايلور" كان انطلاقة لجميع العلماء في مجال البحث عن اصل كلمة ثقافة واتفقوا في تعريفهم لها مع تعريفه ، الا انها اصبحت تدل في القرن 20 م على الخبرات الانسانية بشكل رمزي وربط هذه الخبرات الرمزية بشكل اجتماعي .

المحاضرة الرابعة : المفهوم التخصيصي للثقافة عند كل من ادوارد تايلور – وفرانز بواس

عبر مراحل العصور حاول العديد من العلماء استخدام مصطلح الثقافة في مجالات عديدة كما لاحظنا سابقا خاصة في مجال العلوم الاجتماعية والنفسية والانتروبولوجيا ، ولمعرفة المفهوم العلمي او التخصيصي للكلمة لابد من ان نشير الى أول من وضع المفهوم التخصيصي لها :

أ/ فرانس بواز (Franz Bois1858-1942): هو انتروبولوجي ألماني من عائلة يهودية تأثر بالمفهوم التخصيصي لالمانيا الذي ارتبط بالقومية عموما ، قام بدراسة في بلاد الاسكيمو من اجل معرفة أثر الوسط المادي على مجتمع الاسكيمو ، فلاحظ أن التنظيم الاجتماعي كانت تحكمه الثقافة أكثر من البيئة المادية وبعدها عاد إلى ألمانيا وعمل على تطوير بحوثه بشكل جدي .

"**فبواس**" أول انتروبولوجي يقوم بدراسة استطلاعية ميدانية عبر ملاحظة مباشرة للثقافات البدائية ويعتبر هو مخترع علم الاجناس أو ما يعرف "**بالاثنوغرافيا Ethnographia**" وتشكلت جل ابحاثه في قضية الاختلافات الموجودة بين الجماعات الانسانية وهي اساسا اختلافات ثقافية وليست عرقية.

اهتم بدراسة الانثروبولوجيا الفيزيقية ، لكن اهتماماته انصبت على تفكيك ما كان يشكل مجموعة ثابتة أو دائمة من السمات الفيزيائية الخاصة بجماعة بشرية معينة وهذا المفهوم ضعيف لا يصمد أمام الواقع ، فالأعراق المزعومة ليست ثابتة ، وليس هناك صفات عرقية ثابتة وبالتالي يستحيل التفريق "عرق" ما بدقة حتى لو لجأنا إلى ما يسمى بمنهج معدلات الوسطية"وقد وضع "بواس" نصب عينيه هدف دراسة الثقافات وليسس الثقافة ولانه كان متحفضا لتركيبات النظرية لاسيما النظرية التطورية ذات الاتجاه الواحد والتي كانت سائدة أنذاك ، فقد قدم مداخلة سنة 1896 ما كان يعتبره حدود المنهج المقارن في دراسة الاعراق ، وهاجم الاتجاه التطوري المعتمد على التطوريين ووجه نقدا للمنهج المسمى "**بالتحقيب Périodisation**" (يعني تقسيم الى حقبات زمنية والقيام بالدراسة) والذي يعتمد على مختلف احقاب تطور الثقافة انطلاقا من أصولها المزعومة حسب ما توصل اليه الباحثين التطوريين مثلا.

وقد اعتبر "**بواس**" مبدأ "**النسبية الثقافية**" التي تتضمن مفهوما نسبيا ، ونظرا لكونه ألماني كان متأثر بالمفهوم الخصوصي الالماني للثقافة فهو يرى كل ثقافة هي واحدة ونوعية وكان مشدودا إلى ما يكون اصالة ثقافة معينة.

ولهذا يعتبر اول من درس الثقافات بشكل مستقل لأنه يعتبر كل ثقافة فريدة من نوعها ، ولم يقم بوصف وقائع الثقافة بل ايضا فهمها من خلال بالمجموعة التي تنتمي إليها ، "فالعرق الخاص لا يمكن تفسيره إلا برده إلى السياق الذي هو سياقه ، وكان يسعى إلى فهم الكيفية التي النقيظة الاولية التي تمتلكها كل ثقافة والكامنة وراء تجانسها" .

وملخص ما توصل إله "**فراز بواس**" :

– كل اعماله محاولة للتفكير في الاختلاف ، والاختلاف الاساسي بين المجموعات البشرية بالنسبة له هو ذو طبيعة ثقافية لا عرقية .

– لا يوجد بالنسبة إليه تباين طبيعي (بيولوجي) بين البدائية والمتحضرة ، بل التباينات ثقافية وحسب، ويرها مكتسبة وليست فطرية .

– عند دراسة ثقافة ما يجب أن نسجل كل شيء حتى التفاصيل ، كما يرى أنه على عالم الانتروبواوجيا اذا ما اراد أن يعرف ثقافة ما وأن يفهمها أن يتدرب هو ذاته على اللغة الدراجة وهذا يفترض اقامة طويلة بين من نختار دراسة ثقافتهم .

– ندين "لبواس" بالتطور الانتروبولوجي للنسبية الثقافية وان لم يكن هو الذي ابتدع العبارة التي لم تظهر إلا لاحقا ، فقد كانت النسبية الثقافية بالنسبة له مبدأ منهجي قبل كل شيء.

– يقصد "بواس" بالمفهوم التخصيصي للثقافة أن كل ثقافة بالنسبة اليه واحدة ومخصوصة .

ب / تايلو والمفهوم العالمي للثقافة :

"**ادوارد تايلور Edward Taylor 1917/1832** : هو العالم البريطاني الذي كان أول من يضع للثقافة تعريفا علميا ويعد مؤسس الانتروبولوجيا البريطانية وبفضه أصبحت فرعا من فروع الانتروبولوجيا في الجامعة البريطانية .

ويرى الثقافة او الحضارة هو ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان باعتباره عضو في المجتمع

حيث يرى "تايلور أن الثقافة تعبيرا عن شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان ، وتتميز ببعدها الجماعي بمعنى يشترك فيها كل عناصر الجماعة الانسانية فهي مكتسبة من المحيط الذي يعيش فيه الانسان.

وكان "**تايلور** يركز على قابلية الانسان على التقدم متأثرا باقتراح النظرية التطورية في عصره ، ويعتبر العقل البشري يعمل في شروط متشابهة بشكل واحد من وفي مكان واحد..

حول "**تايلور**"تفسير مشكلة الثقافة وعالميتها من خلال كتابه"**الثقافة البدائية**" 1871 والذي ترجم الى الفرنسية سنة 1876 وهو كتاب يؤسس "**لعلم الاناسة**" ويتسائل عن أصول الثقافات وآليات تطورها وكان أول من اهتم بدراسة الثقافة في كل انماط المجتمعات في مختلف اوجهها المادية والرمزية والجسدية .

ووضع "تايلور" منهج دراسة الثقافة عند اقامته في المكسيك ومن خلال تعميم هذا المنهج الميداني وصل الى خلاصة مفادها ان ثقافة الشعوب البدائية المعاصرة كانت تمثل عموما الثقافة الاصلية للبشرية ، وهذه الثقافة على بقايا المراحل الاولى للتطور الثقافي وهي مراحل مرت بها الشعوب المتحضرة حتما.

وقد اعتمد على المنهج "المقارن" الذي ادخله في "علم الاناسة" ويعتبر دراسة الثقافات الفريدة لا يمكن أن يتم دون مقارنتها ببعضها لانها ترتبط فيما بينها داخل حركة التقدم الثقافي ومن خلال استخدام المنهج "المقارن" توصل الى وضع سلم لمراحل تطور الثقافة ومن خلاله اراد البرهة على الاستمرارية بين الثقافات البدائية والثقافات الأكثر تقدما ، ويرى أن البشر كانوا كائنات ثقافية ، ولو أن هذا السلم غير دقيق في دراسة تطور الثقافة.

ان الاتجاه التطوري عند "**تايلور**" لا يبعد المعاني النسبية للثقافة ولم يكم مقتنعا تماما بوجود توازن مطلق بين التطور الثقافي لمختلف المجتمعات لذا وضع فرضية "**الانتشارية** " (الثقافة الكبرى تنتشر عللى حساب الثقافة الاخرى – الهيمنة الثقافية) ، فمجرد تشابه بين السمات الثقافية لثقافتين مختلفتين غير كاف للبرهنة على أن هاتين الثقافتين كانتا تحتلان المكان نفسه على سلم التطور الثقافي ، اذا كان من الممكن تنتشر احداهما نحو اخرى على وجه العموم .

واهم ما يمكن استخلاصه من تناول "**تايلور**" للثقافة يمكن ادراجه فيمايلي:

* حرص تايلور على أن يكون وصفيا–موضوعيا فالثقافة بالنسبة له تعبيرا عن كلية الحياة الانسان الاجتماعية وتستمر ببعدها الجماعي وهي مكتسبة لا تتأثر بالوراثة.

* في تعريف "تايلور نجده يقول الثقافة – الحضارة تم سرعان ما انتهى الى كلمة ثقافة لانه فهم أن الحضارة اذا ما وضعت في معناها الوصفي الخاص تفقد خاصية المفهوم الاجرائي حينما نطبق على المجتمعات البدائية وكذلك بفضل اصلها الاشتقاقي التي تحيل الى تكوين المدن وبفضل المعنى الذي اتخذته في العلوم التاريخية بحيث تعني .

* لقد تسائل تايلور عن "أصول الثقافة وعن اليات تطويرها كان يعد اول عالم انتروبولوجيا يعالج الظواهر الثقافية من منظور عام ، كما كان أول من حرص على دراسة الثقافات في المجتمعات بكل نماذجها وبكل صورها المادية والروحية .

اثر اقامته في المكسيك حاول "**تايلور**" دراسة تطور الثقافة من خلال البقايا الثقافية واعتمد على **المنهج المقارن.**

المحاضرة الخامسة : علاقة الثقافة ببعض المفاهيم :

1/ العادات : هي طرق معينة للسلوك في مواقف محددة لا تواجه برد سلبي من الجماعة ، وكل فرد يمكن ان تكون له عادات مثل الاستيقاظ المبكر ممارسة الرياضة ، الذهاب الى النادي ، نمط معين من اللباس وغيرها ويمكن أن تكون هناك عادات مقبولة من الجماعة ككل أو من الجماعات الثانوية على حدة أو بعض الجماعات الأولية على حدة .

والعادات التي تنشأ على أساس الخبرات يمكن أن تتحول إلى تقاليد لها احترامها وقدسيتها ويمكن ان تكون بعض العادات هي بقايا الطقوس والاحتفالات التاريخية العريقة أو بقايا لوظائف مهنية قديمة او ما شابه ذلك .

وفي العادة لا يستتبع مخالفة العادات جزاءات سلبية على الرغم من ان السلوك المتطابق مع العادات ينال التقدير من الجماعة دائما

وبهذا المعنى العادات عبارة عن ممارسات سلوكية تمارس في اطار ثقافي معين قد لا تأخذ صفة الالزامية والجبرية لكنها في بعض الاحيان تأخذ جزاءات وبالممارسة والانتقال والتعود تتحول الى تقاليد حين تتوافق مع قيم الافراد وتوجهاتهم وأيضا تأخذ صفة الاستمرارية والتكرار.

2/التقاليد : هي أيضا طرق معينة في السلوك التي تربطها الجماعة بقيم اخلاقية محددة والتي تستدعي مخالفتها جزاءات سلبية .فالتقاليد تتطلب قدرا معيينا من الالتزام بقيم معينة واللجوء الى القهر في مواقف معينة ، فالتقاليد تتطلب مثلا مساعدة العاجز واخلاء مكان له مثلا في المواصلات العامة ، وهي تتطلب مثلا احترام الكبير ...الخ

وعلى هذا الأساس فالتقاليد مرتبطة بنسق القيم المعترف بها في الجماعة تم بأوضاع معينة ومحددة والتي يمكن أن توجد فيها هذه القيم وكذلك بتمازج السلوك المرتبط بها

ولهذا للتقاليد اهمية خاصة عن الجماعات الانسانية تحضى بالالتزام ونوع من الجبرية وتشكل جزء كبير من هوية المجتمع وتعكس في ممارستها قوة الانتماء للثقافة التي شكلت جزئيتها وهي ايضا عنصر مهم في الحفاظ على التماسك الاجتماعي لإفراد الجماعات الانسانية.

3/ القيم والمعايير : من العناصر الجوهرية في جميع الثقافات منظومة الأفكار التي تحدد ما هو مهم ومحبذ ومرغوب في المجتمع وهذه الأفكار المجردة أو القيم هي التي تضفي معنى محدد وتعطي مؤشرات ارشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي ، فالزواج الاحادي أي قصر العلاقة الجنسية على شريك واحد في الحياة يمثل احدى القيم البارزة في اكثر المجتمعات الغربية .

وهناك المنظور الاسلامي الذي حدد تعريف للقيم يشمل خصوصية المجتمع الاسلامي على "انها مجموعة الاخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الاسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من اجل النفس والأسرة والعقيدة

أما المعايير فهي قواعد السلوك التي تعكس او تجسد القيم في ثقافة ما ، وتعمل القيم والمعايير سويا على تشكيل الأسلوب الذي يتصرف به أفراد ثقافة ما ازاء ما يحيط بهم ففي الثقافات التي تعلي من قيمة التعليم على سبيل المثال فان المعايير شجع الطلبة على تكريس جانب كبير من طاقاتهم للدراسة كما انها تحفز الولدين على التضحية بجانب كبير من هذا الجهد والمال لتعليم ابنائهم.

تشكل القيم والمعايير الاطار المرجعي للافراد من خلال ضوابط فكرية وسلوكية تحدد ماهو مقبول ومرفوض اجتماعيا ومن خلاله تتشكل القاعدة العامة للافراد ضمن ثقافة معينة .

4/ **الطوطمية totémism (totem)** : يعرف راد كليف براون "الطوطمية بأنها لا تعني شيئا واحد ، لكنها اسم عام يطلق على مجموعة من النظم تشترك جميعا في بعض الخصائص ، ويذهب إلى ان الطوطمية هي تطور خاص لعلاقة بين الانسان والأنواع الطبيعية ، وهي جزء من النسق البنائي الذي لا ينظم فقط العلاقات بين الكائنات الانسانية وبعضها ولكنه ايضا ينظم العلاقة بين الانسان والبيئة

والطوطمية فوق كل ذلك تعني اختيار الانواع الطبيعية باعتبارها ممثلة للجماعات الاجتماعية مثل العشائر ، لأنها تعبر عن القيم الاجتماعية ومعنى ذلك أن لها تأثير كبير في الكيان المادي والروحي للمجتمع .

أما الطوطم totem فهو نوع من الحيوان أو النبات أو جزء من حيوان أو نبات أو موضوع طبيعي أو ظاهرة أو رمز لكل ذلك يشير الى الخصائص المميزة لجماعة انسانية في مقابل جماعات في نفس المجتمع .

أما "كلود لفي ستروس"فقد نظر إلى فكرة الطوطمية بأنها تكمن في بناء الفكر البشري ، كما يرى أن الطوطمية تجعل الشعوب تواجه نسقا فكريا قد يفرق بين الجماعات الانسانية ، وهو نسق مركب تركيبا منطقيا ليشير الى كل فئات الظواهر الاجتماعية والى القيم والأحداث ، أما الرموز فقد اشتقت من كنوز العالم الطبيعي غير ان سر قواعده وقوانينه لا يكمن في هذه العناصر الطبيعية التي اختيرت للاستخدام الرمزي ، بل في المبادئ التي تصنف على أساسها هذه العناصر الطبيعية).

5/ الفن : الفن كنسق لا تخلو منه أي ثقافة في الحاضر والماضي ، كما أن مفهومه وعناصره تختلف من ثقافة الى اخرى ، وذلك لاختلاف قيمة الجمال من مجتمع لآخر ، فالشعور بالجمال مرتبط بقيمة الجمال كما يحددها المجتمع وتقسم المعاجم ودوائر المعارف الفن الى فنون عملية وفنون جميلة ، اذ تشير الفنون العملية إلى الحرفة أو الصناعة او النشاط الانتاجي ، أما الفنون الجميلة فهي كل انتاج للجمال يحقق اعمال محددة مثل الرسومات والتماثيل والرقصات والموسيقى ، ولا بد أن تتصف تلك الأعمال بالجمال وفق القواعد التي يحددها المجتمع لتلك القيمة ، ويرتبط الاعجاب بالعمل الفني بالمشاعر وكذلك يعبر الفنان عن عواطفه وإحساسه المرهف وخيالاته عن طريق الاعمال الفنية التي هي في النهاية تمثل رموز على تلك العواطف والإحساسات والأفكار ،ولقد اعتنى علماء الاجتماع والانتروبولوجيا بمسألة خصائص الفن البدائي القديم والمعاصر وانتهوا الى أن هذا الفن المتمثل

في الرسومات يعبر عن نزعة مطابقة للطبيعة في ادق صورها ، وان كانت لا تعبر عن صيغة جامدة ، وانما عن شكل حي متحرك يعالج مشكلة التعبير عن الواقع بأكثر وسائل التعبير تنوعا ويؤدي مهمته بدرجات متفاوتة الاتقان.

6/ العرف : هو الطرق العامة المشتركة التي ينظر اليها على انها الاكثر صدقا وسلامة من العادات الشعبية ويسهم في ان يعطي وثوقا للفرد ويفرض عقابا صارما في حالة الاعتداء عليه ، لأن المجتمع ينظر الى الاعتداء على العرف على انه مصدر خطر على الاخرين ، ومن وظائف العرف أنه يحدد الصواب والخطأ ويعين ما يمكن وصفه بأنه خلقي أو غير خلقي والعرف يتميز ببطء شديد ، بعكس العادات الشعبية التي تتميز على نحو اسرع وتسهم العادات الشعبية والعرف كمكانيزمات كافية لحفظ النظام في المجتمعات البدائية .

ولكن المجتمع الحديث الذي يقوم على تقسيم العمل وما يترتب عليه من تنظيمات اجتماعية متعددة ومعقدة يسهم في انقسام الناس الى جماعات وطوائف وطبقات يعتمد بجانب العرف والعادات الشعبية على القانون الذي يحمي ويعاقب في نفس الوقت لحفظ النظام

7/ الرموز والطقوس والاسطورة : لا ينظر العلماء الى الاسطورة باعتبارها تحولا خاليا من المعنى او مجردا من الواقع ، وانما يعتبرونها معتقدات مشبعة ومحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس ويعشون بها أو من أجلها ويرتبط كل مجتمع بنسق من الاساطير يعبر عن الصورة الفكرية المعقدة التي تعين وتحقق في الوقت نفسه كل نواحي النشاط الانساني ، ويقوم نسق الاساطير بوظيفة النزول بالقيم والمعتقدات من التجريد الى الواقع وتمهيد الارض التي ينبثق عنها الايمان وتختلف الاساطير في درجتها وأهميتها ، فهناك اساطير اجتماعية ذات نفوذ واسع النطاق وهناك اساطير اخرى اقل نفوذا فكل مدينة ولكل فترة من التاريخ ولكل امة نسقها الاسطوري الخاص الذي يكمن داخله سر التكامل الاجتماعي والاستمرار في الزمن ، وقد ارتبط في الأذهان مفهوم الاسطورة بالخرافة ولكن مفهوم الاسطورة يحمل تقريبا نفس مضامين الاديولوجيا ويجب فهمه على هذا الاساس وتعبر الرموز غالبا عن القيم والمعتقدات التي تدعم من حين لآخر عن طريق الطقوس ، ويحاول كل مجتمع أن ينمي نسق قيمه ومعتقداته عن طريق شعارات متعددة قد يعبر الادباء والفنانون والمثاليون وغيرهم بطرق متعددة بين الكلمة المسموعة والمكتوبة والصورة والتمثال وتقام الحفلات والطقوس بين حين وآخر لتعميق هذه القيم والمعتقدات في مناسبات متعددة تمجيدا واقرارا لها في النفوس ولهذا تعتبر الطقوس والحفلات وسائل هامة للمحافظة على النظام الاجتماعي .

خاتمة :

ان الثقافة في مفهومها العام وحسب ما تطرق إليه العديد من العلماء تعتبر مفهوم اجتماعي تعكس مدي تكيف الفرد مع المنظومة التي ينتمي اليها والتي تشمل مجموع ما تطرق إليه "**ادوار تايلو**" في تعريفه ، وتمكن الفرد من فهم علاقته بالكون باعتبار الثقافة ذات ارتباط بالوجود الانساني من جهة ومع الحياة الكونية التي انتجها الانسان من جهة اخرى من خلال الانتاج والإبداع المادي واللامادي.

وتعتبر الثقافة بالمفهوم المعاصر لها مقياس للتحضر الامم بكل دلالاتها الرمزية ومحتوياتها الواقعية .

النظريات المفسرة للثقافة

تمهيد:

إن لكل نظرية فرضياتها ومسلماتها التي تنطلق منها في تحليل الواقع والخط البحثي الذي تبحثفيه، فكل نظرية تسعى إلى أن تتوصل إلى نتائج من خلال دراسات نظرية وامبريقية معينة.وتهتم النظريات الثقافية بصورة خاصة بتحليل شكل خاص من السيرورة الاجتماعية، مرتبطة بعملية إعطاء معنى للواقع، وبتطور ثقافة وممارسات اجتماعية تشاركية وبحقل مشترك من المعاني،تهدف إلى تحديد أطر دراسة الثقافة في المجتمع المعاصر كمجال تحليل مهم على الصعيد المفهومي،ومناسب وراسخ على الصعيد النظري .وتدخل في مفهوم الثقافة سواء المعاني والقيم التي تظهر وتثير في الطبقات والمجموعات الاجتماعية، من خلال الممارسات الظاهرة التي على أساسها يتم التعبير عن المعاني والقيم .ومن أشهر النظريات والأطروحات في المجال الثقافي نجد:

المحاضرة السادسة : نظريات الصراع الثقافي :

ترى هذه النظريات أن الصراع عملية اجتماعية، وأن المتناقضات الثقافية تنبع من داخل المجتمع، وكلما زادت هذه المتناقضات أدى ذلك إلى زيادة حدة الصراع، وهي تنقسم إلى قسمين:

1 / نظرية التنازع الثقافي:

ركز عالم الاجتماع الأمريكي ثوريستن سيلين] Sellin Thorsten 1896 – 1994 [على ضرورة تحليل الجريمة في ضوء التنازع الثقافي ، الناشئ عن التضارب بين قواعد السلوك (فالفرد داخل المجتمع يجد نفسه مشدودا بين ثقافتين متعارضتين لكل منهما نمط سلوكي مخالف، مما يجعل من فعله في بعض الأحيان، مشكلا لجريمة في نظر إحدى الثقافتين. ويرى سيلين أن قواعد السلوك

تتحدد من خلال الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، والتي قد يشوب قيمها التنازع والتصارع مع قيم جماعات أخرى تتواجد في محيط الفرد الاجتماعي .ويأخذ التنازع الثقافي لدى سيلين إحدى الصورتين :إما صورة التنازع الأصلي أو الخارجي، وذلك حينما يقع التصادم بين ثقافتين مختلفتين في مجتمعين مختلفين .وقد يأخذ صورة التنازع الثانوي أو الداخلي حينما يقع التصادم في إطار ثقافة عامة واحدة . وقد ينشأ النوع الأول من التنازع، بفعل الهجرة حيث ينتقل المهاجر محملا بثقافة وقيم تتنافر أحيانا مع قيم ومبادئ المجتمع الذي هاجر إليه .ومن أنماط هذا الصراع التنازع بين ثقافة الدولة المستعمِرة وثقافة الدولة المستعمَرة.

أما التنازع الثانوي الذي يصلح في رأيه لتفسير الجريمة في الولايات المتحدة، وذلك لأن معدل جرائم المواطنين الأصليين أعلى من نظيره لدى الأجانب في الولايات المتحدة فقد أشار سيلين إلى أنه ينشأ نتاج تنافر وعدم تجانس الثقافات داخل المجتمع الواحد، والذي يدفع إليه وجود نوع من التمايز الاجتماعي بين المجموعات أو التكتلات السكانية التي بمرور الوقت تكون قد شكلت لنفسها مجموعة من القيم الخاصة التي تتنافر بدورها مع القيم السائدة لدى التكتلات.الأخرى في ذات المجتمع .الأمر الذي يولد مزيدا من الصراع الاجتماعي بين تلك الكيانات المستقلة ثقافيا، ويكون مدعاة لظهور الجريمة في هذا المحيط الاجتماعي .ومن أشكال هذا التنازع الثقافي تضارب قيم الجماعات الأسرية، والجماعات المدرسية...الخ.

2 نظرية الثقافة الفرعية :

ومن أهم الدراسات التي أجريت في هذا الصدد ما قام به كوهين) Cohen ، وكذا العالمان كلاوارد و أوهلين

أ/ نظرية كوهين:

ألبرت كوهين Albert Cohen عالم نفساني واجتماعي أمريكي، انصب اهتمامه على إجرام الأحداث ممن ينتمون إلى الطبقات الدنيا في المجتمع .وقد أشار في أبحاثه التي نشرها عام 1955إلى أن هناك صراع ا ينشأ بين معايير السلوك الاجتماعي لدى الطبقة الدنيا وتلك المتبناة من أفراد الطبقة الوسطى.وقد أشار كوهين إلى أن الغلبة دائما تكون لمعايير تقدير السلوك التي تعارفت عليها الطبقة الوسطى .بحيث أن الفرد الذي تفرزه الطبقات الدنيا يتم تقدير مكانته في المجتمع على ضوء معايير كونهم أفراد ا ينتمون إلى الطبقة المتوسطة، الأمر الذي يجبره على تقبل أهداف وقيم

الطبقة الوسطى، خاصة وأن هناك عوامل متعددة تدفعه إلى هذا القبول :كطلب والديه ضرورة الوصول إلى مركز مرموق وأفضل مما هما عليه، ودعوة وسائل الإعلام المتكررة بضرورة الارتقاء بالقيم وضرورة الوصول لمراتب أفضل في السلم الاجتماعي. غير أن الفرد يظل غير قادر على التكيف مع أهداف الطبقة الوسطى أو تحقيقها بالوسائل الاجتماعية المقبولة .فالفرد من بين الطبقات الدنيا ينشأ من الناحية الاجتماعية في ظل نظام يجعله يعيش يومه دون التفكير في مستقبله، ولا يعرف من الطموح عادة إلا قدرا ضئيلا، ويستسهل الاعتداءات البدنية واللفظية، وهو ما يجعله يعيش في مركز اجتماعي أدنى من نظيره في الطبقة الوسطى، ويجد نفسه في إطار نظم يديرها أفراد الطبقة الوسطى ويحكمون عليه وفقا لمعاييرهم، ويصبح غير مؤهل اجتماعيا للتوافق مع قيمهم وأهدافهم. ولما كان طفل الطبقة الدنيا قد تيقن أن ارتفاع شأنه في الحياة الاجتماعية لابد أن يمر من خلال تبني القيم السائدة في الطبقة الوسطى، كما تيقن من أن ظروفه تحول دون تطبيقها، فإن احترامه لنفسه. يصادف مشكلات شائكة في التكيف مع المجتمع .ولمواجهة تلك المشكلات، فإن الطفل يبدأ في تكوين أفكار خاصة به أو ثقافة فرعية تتميز بخصائص معينة وحيث يسعى إلى تحقيق مركز له فيها فيدفعه ذلك إلى ارتكاب الجرائم .وبتراكم هذه الجزئيات تتشكل في العادة ما يسمى بعصابات الأحداث الإجرامية. ولا شك أن كوهين قد أصاب بعض الحقيقة في مجال تفسير الظاهرة الإجرامية في مجال جرائم الأحداث التي تأخذ النمط الجماعي .غير أن أبحاثه قد انتقدت من عدة زاويا، منها أن خصائص الثقافة الفرعية التي يكونها الحدث لنفسه ليست مقصورة على طبقة واحدة .والدليل على ذلك أن من ينتمون إلى الطبقة الوسطى قد يرتكبون ذات الجرائم الخاصة بالطبقة الدنيا، على الرغم من عدم تكون ثقافة فرعية تخصهم.

كما عيب على نظريته أنها اعتمدت على منهج تاريخي في البحث، أي أنها تبحث في السبب الذي من أجله تكونت الثقافة الفرعية، الأمر الذي يستوجب البحث في الدوافع النفسية التي تقف وراء تشكل تلك الثقافة لدى الأجيال السابقة، وهي مهمة يصعب إن لم يكن من المستحيل إجراؤها

ب / نظرية كلاوارد وأوهلين

ريتشارد أندرو كلاوارد] 2001 - 1926) ،ادغار أوهلين 2008 - 1918) Edgar Ohlin عالمان اجتماعيان أمريكيان مختصان في الإجرام، ذهبا إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الثقافات الفرعية، ترتبط جميعها بالتركيب الاجتماعي:

الثقافة الفرعية الإجرامية الثقافة الفرعية التنازعية ، وأخيرا الثقافة الفرعية التراجعية أما الثقافة الفرعية الإجرامية فتتواجد على وجه الخصوص في الطبقات الدنيا حيث يبدو المجرمون أكثر استعدادا للاندماج مع الأحداث الذين يعيشون في هذا الوسط .فهؤلاء المجرمون لا يختلطون بالنماذج البشرية التقليدية التي حققت نجاحا من خلال القنوات الشرعية في المجتمع، وإنما يجدون أمامهم نماذج إجرامية ناجحة يتمثلون سلوكها. بينما تبرز الثقافة الفرعية التنازعية في الأوساط الصغيرة المفككة اجتماعيا، والتي لا يتضح فيها الفارق بين الوسائل المشروعة والوسائل غير المشروعة .وإزاء هذا الغموض يختار الحدث العنف كوسيلة لإثبات مكانته في المجتمع، ليس فقط لأن في ذلك تنفيسا عن الغضب والإحباط ولكن لأن طريق العنف ميسور.أما الثقافة الفرعية التراجعية فتتعلق بالحدث الذي يخفق في تكوين ثقافة فرعية إجرامية أو تنازعية والذي يميل عندئذ إلى الانسحاب أو التراجع عن المجتمع بإدمان الكحوليات والعقاقير المخدرة. ويرى **كلاوارد وأوهلين** أن سلوك الفرد يختلف حسب مشروعية أو عدم مشروعية الوسائل التي توجد تحت تصرفه والتي يتيحها له التركيب الاجتماعي والطبقي الذي ينتمي إليه بثقافته .وعلى ذلك، إذا كان التركيب الاجتماعي يستسهل الاعتداءات البدنية والسرقات المصحوبة بالعنف، ويشجع على استعمال المواد والعقاقير المخدرة، فسوف يتوالد الحدث الذي تتكون لديه ثقافة فرعية خاصة تتوافق مع قيم هذا التركيب الاجتماعي .أما حينما يحول التركيب الاجتماعي بين الحدث وبين الوسائل غير المشروعة بمختلف أنواعها، فإنه لا مجال لأن تتشكل ثقافة فرعية تحبذ الجريمة وتشجع عليها.

وقد عيب على هذه النظرية عدم إمكان خضوع بعض فروضها للتجربة العملية، مما يشكك في صدق النتائج التي توصلت إليها .وربما يعود ذلك إلى غموض بعض الاصطلاحات التي استخدمتها كمصطلح الفرص النسبية الفشل المزدوج ،(استبعاد الذنب بالإضافة إلى أن بعض النتائج التي خلصت إليها هذه النظرية لا تتفق مع الواقع .ومن ذلك، أنها ربطت بين كل نوع من أنواع الثقافة الفرعية ونوع آخر يقابله من التركيب الاجتماعي، ومع ذلك فقد أثبت الدراسات التي أجريت في المناطق التي تسود فيها معدلات إجرامية مرتفعة أنه تسود بهذه المناطق أكثر من ثقافة فرعية .كما أثبتت أبحاث أخرى أجريت على الجمهور خارج السجن بطريق الاستبيانات غير المسماة إلى أن معظم أفراد الجمهور من كافة الطبقات يرتكبون أفعالا تعد جرائم وأن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص لا تؤثر كثيرا في تلك النتيجة.

المحاضرة السابعة : نظريات الثقافة الجماهيرية .

على العموم يمكن تقسيم نظريات الثقافة الجماهيرية إلى أربع نظريات أساسية على النحو الآتي:

1/ نظرية الغرس الثقافي:

هي نظرية اجتماعية درست الآثار الطويلة الأمد للتلفزيون على الجماهير الأمريكية من جميع الأعمار .وتطورت هذه النظرية على يد **جورج جربنر ولاري غروس** في **جامعة بنسلفانيا** .وهذه النظرية مستمدة من عدة مشاريع بحثية واسعة النطاق، كجزء من مشروع بحثي شامل بعنوان:المؤشرات الثقافية وكان الغرض من مشروع المؤشرات الثقافية، معرفة وتتبع آثار التلفزيون المنغرسة على المشاهدين .وقد كانوا قلقين من آثار البرامج التلفزيونية(البرامج العنيفة على وجه الخصوص)على مواقف وسلوكيات الرأي العام الأميركي ولم تنشأ نظرية الغرس الثقافي لدراسة الآثار المستهدفة والمحددة، بل لدراسة تأثير التلفزيون التراكمي والشامل بشأن الطريقة التي نرى بها العالم الذي نعيش فيه .ولذلك ظهر مصطلح نظرية الغرس الثقافي .وهي نظرية تشير إلى أن التعرض للتلفزيون يزرع بمهارة مع مرور الوقت مفاهيم المشاهدين للواقع .ويمكن أن يكون لهذا الغرس الثقافي تأثير حتى على مشاهدي التلفزيون الهينين، وذلك لأن التأثير على المشاهدين الذين يكثرون من مشاهدة التليفزيون له تأثير في ثقافتنا كلها. ولهذا يرى **جربنر** و**غروس**، أن التلفزيون هو وسيلة للتنشئة الاجتماعية لمعظم الناس في أدوار موحدة وسلوكيات، وتتمثل مهمته في كلمة، التثقيف وعليه، فإن الذين يقضون وقتاا أطول في مشاهدة التلفزيون أكثر عرضة لإدراك العالم الحقيقي بطرق تعكس الرسائل الأكثر شيوعاا والمتكررة لعالم التلفزيون، مقارنة مع الأشخاص الذين يشاهدون التلفزيون بدرجة أقل. ومن جهة أخرى، يرى العالم البريطاني **جورج فرنير** أن مثل هذه النظرية قد تصدق في حالة تلقي المعلومة من جهاز تلفازي واحد، غير أن تعدد الأجهزة وتعدد رسائلها وتنوعها تجعل الفرصة أوسع للاختيار والمقارنة مع الوضع في الاعتبار العوامل المساعدة على إحداث التأثير

ومن مجالات التأثير التلفازي:

أ / **تأثيره في الوقت** :حيث عمل الكثير من أفراد المجتمع وعائلاته على إعادة نظام حياتهم اليومية بناء على برامج التلفاز .وهذه الظاهرة موجودة في كثير من بلدان العالم .فقد جاء في بعض الدراسات أننسبة % 60 من العائلات الأمريكية اعترفت بأنها غيرت مواعيد النوم، بسبب برامج التلفاز .كما أننسبة % 55 من العائلات غيرت مواعيد تناول الطعام .

ب/ **تأثيره في النشاط التربوي** :في دراسة استطلاع رأي المواطنين مشاهدي التلفاز في الكويت عام

1974، توصلت إلى أن % 97 من الأمهات يرين أن الدورة التلفازية الصباحية جذبت الأطفاللجلوس في منازلهم للمشاهدة .وبالتالي، عدم ممارستهم للعب خارج المنزل أو ممارسة القراءة أوالهوايات المعتادة لديهم، بل ساعدت على انصراف الأطفال عن أصدقائهم بنسبة .% 52 مما يدل على أثر التلفاز على جانب مهم وهو الجانب التربوي عن طريق الممارسة وتبادل الخبرات والمعلومات ومعاني الأخذ والعطاء .تأثيره في التحصيل العلمي :توصلت بعض الدراسات إلى أن % 18.60من طلاب المرحلة الثانوية في الكويت، يقضون مدة في مشاهدة برامج التلفاز تعطلهم عن التحصيل العلمي، بل وأداء واجباتهم المدرسية .ولا شك أن للتلفاز أثره الواضح في هذا الجانب، إذ توصلت دراسة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر إلى أن % 77 من أرباب الأسر(أفراد العينة)يلجأون إلى تشغيل التلفاز أثناء المذاكرة، بل إلى فترات متأخرة من الليل .ويؤكد أصحاب نظرية الغرس الثقافي أن وسائل الإعلام تقوم بغرس عالم وهمي في ذهن المتلقي،والذي يقوم بدوره بتقبل هذه الصورة على أنها تعبير حقيقي للواقع، لكونه غير واع بعملية صنع هذا الواقع، بل إن وعيه لا يتعدى الشعور بالتسلية، وذلك بقضاء الساعات الطويلة أمام شاشة التلفاز

2/ نظرية ادغار موران :

ادغار موران Edgar Morin [فيلسوف وعالم بيولوجي فرنسي معاصر، اهتم بعلاقة– نتائج علم البيولوجيا وانعكاساتها على تصور الإنسان لذاته ومجتمعه وموقعه داخل هذا الكون .وحاول دراسة الثقافة الجماهيرية كظاهرة اجتماعية شاملة في مقاربة له نشرها في كتابه :روح العصر ،حيث يعتبر من أوائل المفكرين الذين نظروا ودشنوا هذه النظرية وخاصة في مجال التنظير لوسائل الإعلام الأوروبي .هذا الخط البحثي الذي يثير جدلا حاميا ضد موضوع البحث الممثل من قبل الإعلام، وضد سوسيولوجية الاتصال بالجماهير(أي ضد البحث الإداري بشكل جوهري .)كما اهتم موران على وجه الخصوص في دراساته بالسينما والصورة وتأثيراتها في الإنسان، ومادامت السينما خيالا فيه نوع من الواقعية، فقد تناول موران هذه الخاصية فتوصل إلى أن الوسائل الإعلامية تبث أشياء كثيرة لها علاقة بالثقافات المختلفة ومن بينها النوع المعتمد على الخيال الذي يحدث في الإنسان احتياجاا يتصف بنوع من التخذير، ويك و ن بالتالي في الإنسان موقفاا ثقافياا. ويعتقد موران أنه لا يمكن النظر ودراسة الثقافة الجماهيرية إلا في ضوء المنهج الشامل ومن غير الممكن تقليص الثقافة الجماهيرية في سلسلة من المعطيات الأساسية التي تسمح بتمييزها عن الثقافة التقليدية وثقافة الإنسان، بل ويجب النظر إليها على أنها مركبات من الثقافة والحضارة والتاريخ .وفي هذا الصدد،

يقول موران في كتابه روح العصر" :تشكل الثقافة الجماهيرية نظام ثقافة مكون من مجمل الرموز والقيم والأساطير والصور التي تتعلق سواء بالحياة العملية سواء بالمخيال الجماعي. ومع ذلك، ليست الثقافة الجماهيرية النظام الثقافي الوحيد للمجتمعات المعاصرة، فهذه الأخيرة هي واقع سياسي ثقافي يحتوي الثقافة الجماهيرية، والتي تخضع في إطار هذا الواقع للاحتواء والرقابة والتحريم، وفي الوقت نفسه تميل إلى جعل الثقافات الأخرى تتآكل وتتفكك، إنها ليست مستقلة بشكل مطلق، يمكن أن تتشبع بثقافة وطنية، دينية أو إنسانية .وهي ليست الثقافة الوحيدة للقرن العشرين، ولكنها التيار الجماهيري الحقيقي والجديد في القرن العشرين."‥ فمن خلال مقولة موران نفهم أن الثقافة الجماهيرية هي المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الإعلام والاتصال لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية، وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة. والثقافة الجماهيرية في نظر موران هي إنتاج الرأسمالية الخالص في القرن العشرين، ويعالجها كاستجابة لرغبة الرعية اللاواعية للمستهلك، حيث أدى تحول المجتمعات من الزراعة إلى الصناعة وما بعدها إلى التأثير في العديد من مجالات الحياة تبعاا لهذا التحول . وأبرز هذه المجالات هو المجال الثقافي، فقد أدى الاعتماد شبه الكامل على التصنيع إلى تصنيع حتى المواد الأدبية والفكرية خلال القرن العشرين، فأصبحت تخضع هي الأخرى لقانون العرض والطلب ومن ذلك أصبح مفهوم صناعة الثقافة كأحد أبرز الصناعات الوطنية. إن الثقافة الجماهيرية مؤسسة وحاملة أخلاقية استهلاكية، قانونها الأساسي هو قانون السوق وديناميتها تنجم من الحوار المستمر بين الإنتاج والاستهلاك(ما يطلبه المشاهدون)والمقولة الشهيرة التي يحفظها رجل الإعلام هي"**امنح جمهورك مايريده**"، لكنه حوار غير عادل بدون تغذية رجعية عكسية، أمام طرف يسهب في الإنتاج للرسائل وطرف ثاني يتلقى فقط بدون ضوابط .فالإنتاج الإعلامي يقدم روايات وقصص المطولة، يعبر عن نفسه بلغة، أما المتلقي فإنه يجاوب بردود (نعم لا .)وتسعى الثقافة الجماهيرية بكل تأكيد لتجنبنا مثل هذا الألم وتقدم لنا خاتمة أو بصفة عامة- رسائل لا تكون بحاجة إلى إزاحتها حتى نحلم .وضمن هذا الأفق يرى موران في المخيال بُعداا حقيقياا للثقافة الجماهيرية، وحتى الإعلام يجد مكانته فيها من الأخبار والأحداث المتنوعة والأفلام والروايات، نجدها كلها في الثقافة الجماهيرية التي سبق الحديث عما هو مختلف من الأشكال والأبعاد في حياتنا.

المحاضرة السابعة : نظرية الانتشار الثقافيّ:

يرى أصحاب هذه النظرية أن الاتصال بين الشعوب المختلفة قد نتج عنه احتكاك ثقافي وعملية انتشار لبعض السمات الثقافية أو كلها، وهو ما يفسر التباين الثقافي بين الشعوب، كما ينطلق دعاة هذا الاتجاه من افتراض مؤداه أن عملية الانتشار تبدأ من مركز ثقافي محدد لتنتقل عبر الزمان إلى أجزاء العالم المختلفة عن طريق الاتصالات بين الشعوب ، وتسعى هذه النظرية إلى الكشف عن حلقات لربط الثقافات معاا نتيجة لتفاعلها جغرافياا وزمنياا فإنها تلتزم أيضاا بالمبدأ التاريخي في علاقات الثقافات بعضها بالبعض الآخر. ولقد قام **بواس** بوضع رسم تخطيطي مفصل لانتشار الأساطير، ومن ثم توصل إلى وجود عمليات تاريخية هي عمليات الانتشار وعملية التكامل ويقصد بعملية الانتشار أن السمات الثقافية تنتشر من جماعة إلى أخرى عن طريق الاتصال التاريخي، أما عملية التكامل فيقصد بها تعديل أو تكيف العناصر الثقافية المستعارة وتثبيتها في الثقافة المحلية وفي المحتوى الاجتماعي للبيئة.

ظهرت في أوروبا مدرستان للانتشار الثقافي، كان **فريدريك راتزل** Fredrich Ratzel رائدا للمدرسة الأولى، وهو عالم ألماني صاحب كتاب **الجغرافية السياسية**، والمؤسس الأول للجغرافيا الحديثة .تبنى منهجا تاريخيا جغرافيا بتأثير المدرسة الجغرافية الألمانية وركز على أهمية- الاتصالات والعلاقات الثقافية بين الشعوب ودور تلك العلاقات في نمو الثقافة. وادعى **راتزل** بأن الزراعة اعتمدت إما على الفأس أو المحراث وهو ما يفسر الاختلافات بين الثقافات الزراعية .وتبعه في ذلك فان المتخصص في الجغرافيا البشرية، وادعى الأخير بأن تدجين الحيوانات أعقب اكتشاف الزراعة المعتمدة على الفأس .ومع اعتراف بأن الزراعة المعتمدة على الفأس يمكن أن تكون قد ظهرت عدة مرات في أجزاء مختلفة من العالم إلا أنه يؤكد على أن زراعة المحراث وتدجين الحيوانات واكتشاف عجلة الفخاري قد تمت كلها في الشرق الأدنى القديم ثم انتشرت منه إلى بقية أجزاء العالم. أما **هاينرينج شورتز** فقد أبرز فكرة وجود علاقات ثقافية بين العالم القديم(اندونيسيا وماليزيا)وبين العالم الجديد(الأمريكتين .) وقد طور **ليو فروبينيوس** فكرة انتقال الثقافات عبر المحيطات بادعائه حدوث انتشار ثقافي من اندونيسيا إلى أفريقيا .فقد حاول في كتابه الذي نشره في عام 1898 بعنوان:**أصل الثقافات الأفريقية** إثبات وجود دائرة ثقافية ماليزية زنجية في غرب أفريقيا فسرها بوصول نفوذ ثقافي اندونيسي في صورة موجة ثقافية إلى ساحل أفريقيا الشرقي، ومن ثمَّ عبورها إلى غرب أفريقيا حيث لا تزال بقايا تلك الموجة موجودة في حين أن بقاياها قد اندثرت في شرق أفريقيا نتيجة هجرات البانتو والحاميين

اللاحقة .وبهذا يكون **ليو فروبينيوس** أول من أدخل مفهوم الدائرة الثقافية في الدراسات الاثنولوجية . وبفعل التقاء الثقافات نشأت دوائر ثقافية وحدثت بعض عمليات الانصهار،وبرزت تشكيلات مختلفة وهو الأمر الذي يفسر الاختلافات البادية في الثقافات الأساسية. وفي عام 1905 نشر **جرايبز** بحثه عن الدوائر الثقافية والطبقات الثقافية في جزر المحيط الهادي والذي استخدم فيه عدد لا يحصى من العناصر الثقافية التي ترتبط بعضها بالبعض الآخر لتؤلف دائرة ثقافية .باستخدام التتابع الزمني وانتشارها في أستراليا وجزر المحيط الهادي .وفي عام 1911 نشر **جرايبز** كتابه الآخر **منهج الاثنولوجيا** رسم فيه الخطوط العامة لمدرسته الانتشارية. وتنطوي فكرة الدائرة الثقافية على النواحي المادية والاقتصادية والاجتماعية...الخ، لأنها متكاملة وتعود على نفسها مثل الدائرة، فهي تكفي نفسها بنفسها، ومن ثم تؤمن استقلال وجودها .وقد لخص **كوبرز** في بحثه الذي نشره عن الانتشارية : الانتقال والتقبل ومن اهم الافكار أن الانتشار الثقافي، ودرجة انتقاله تقبله حقيقة واقعة، كما أن الانتشارية مبدأ هام في الدراسات الاثنولوجية والتاريخية .ونتيجة لنقص الوثائق المكتوبة فإن الأمر يحتاج إلى دراسات مقارنة للصفات الثقافية من أجل الحصول على العوامل المكانية والزمانية والسببية. والانتشار الثقافي لا يمثل كل أحداث التاريخ، فدراسة العناصر الثقافية لا تحل محل الوثائق التاريخية لكنها تعطي إضافات هامة في هذا الاتجاه التاريخي .كما تقوم الدراسات الانتشارية على المتشابهات الثقافية، حتى في الحالات التي لا نستطيع فيها التأكد من وجود ارتباطات وهجرات بين المتشابهات الثقافية، فلا شك أن تأكيدنا بأن الظاهرتين المتشابهتين قد نشأتا نشأة مستقلة يصبح غير مقبول لأنه يفترض شيئاا أبعد تحققاا من الارتباطات السابقة...الخ .

المحاضرة الثامنة : نظرية الثقافة الشعبية:

يمثل هذه النظرية أصحاب دراسات الحياة الشعبية، وهم يتخذون في الوقت الراهن طابعا وعظياا نصحياا أكثر منه نظري تجريدي، واثنوجرافياا أكثر منه فلسفي، وشغلهم الشاغل ومطلبهم الأساسي هو توسيع دائرة اهتمامات دارس الفولكلور بحيث تشمل المنتجات الشعبية المادية، ومجموع الحياة الشعبية بكل عناصرها لدراسة الحياة الشعبية وهناك علاوة على هذه الدوريات دراسات عديدة لعلماء أفراد تتناول مختلف موضوعات الحياة الشعبية كوصف البيئة المادية الذي غالباا ما يكون مصحوباا بالصور والرسوم التخطيطية والتوضيحية،وإعادة رسم الصورة التاريخية، والتحليلات التوزيعية لمختلف عناصر التراث الشعبي.

وقد حدد **هنري جلاسي** عالم الفلكلور الأمريكي في كتابه يتحدث عموما أنماط الثقافة الشعبية في شرقي الولايات المتحدة بعض الخطوط العريضة لدحض الاتهامات التي توجه إلى دارس الحياة الشعبية واصفة إياه بأنه ليس سوى دارس العاديات القديم يحمل اسما جديدا، ويقول **جلاسي** في كتابه أنك تجد أن أفضل دارس للثقافة الشعبية هو باحث ميداني ومفكر نظري في نفس الوقت ولابد أن تتضمن أي دراسة حديثة للثقافة المادية الوصف المفصل، وترتيب البيانات المادية وتصنيفها، وتوضيح العلاقات الجغرافية التاريخية بين الأنماط المختلفة، وتركيب الأشياء واستخداماتها، وكذلك الجوانب الوظيفية والسيكولوجية، ويقترح **جلاسي** أن نتجاوز مناقشة تاريخ الشيء المدروس والكلام عن توزيعه لندرس دوره العاطفي والثقافي في حياة صانعيه ومستخدميه، ومن الأسئلة النظرية الشائكة التي تعرض لها **جلاسي** بالذكر خلال دراسته ذات المادة التوثيقية والتوضيحية الوفرة طبيعة الذوق الجمالي الشعبي، وعلاقة الفنون الشعبية بالفنون الشائعة بين الجماهير، وتحديد المناطق التي تنقسم إليها الثقافة الشعبية(وتمثل هذه النقطة المحور الأساسي لدراسته)والتفاعل بين حركة الأفكار والأشياء والإشباعات التي تحققها الثقافة المادية في عالم تسيطر عليه التكنولوجيا الجماهيرية، وتكون أسلوب أمريكي في الحياة الشعبية، وهو يؤكد على الجانب الجغرافي على حساب الجانب التاريخي، ويبحث عن أوجه الاختلاف بين الأماكن المختلفة بدلا من التماس التجانس الزمني عبر التاريخ. وقد أرسيت دعائم نظرية لهذه المدرسة في رسالة دكتوراه تبلغ التسعمائة صفحة قدمها ميشيل- - جونز لجامعة إنديانا في عام 1970 بعنوان :صناعة الكراسي في أبالاشيا؛ دراسة حالة لخصائص الأسلوب في الفن الشعبي الأمريكي ، وقد وضع جونز نموذجا نظريا مركبا ومحكما لدراسة عناصر الثقافة المادية المسموعة يدويا والمخصصة للاستخدام النفعي، ويأخذ هذا النموذج في اعتباره الاقتصاديات المحلية للإنتاج والتوزيع، وأنماط الفنانين من الناحية السيكولوجية والمؤثرات الخارجية من ناحية الذوق والطلب، التي تؤثر على المجتمع المحلي الشعبي والعوامل الايكولوجية التي تتحكم في المواد الخام والأساليب التقليدية التي يتبعها الفنان في إنتاج سلعته، ويحاول **جونز** في دراسته هذه أن يأخذ في الاعتبار كل عنصر يدخل في العملية الفنية الشعبية، سواء كان عنصرا تاريخيا أو فرديا أو ثقافيا أو تقليديا أو جماليا أو اقتصاديا أو بيئيا. ولقد **عرف ميشيل دو سيرتو** 1980 الثقافة الشعبية على أنها الثقافة العادية لأناس عاديين، أي أنها ثقافة تتشكل تبعا للواقع اليومي ومن خلال النشاطات العادية المتجددة كل يوم .وهو يرى أن الإبداع الشعبي لم يختف، لكننا لا نجده حيث نبحث عنه في المنتجات التي يمكننا العثور عليها والمحددة بشكل واضح، لأنها متعددة الأشكال

ومبعثرة" :فهي تهرب عبر ألف درب ودرب ."ولفهمها علينا فهم الإدراك العملي للناس العاديين لا سيما في استخدامهم للإنتاج الجماهيري .ويرتبط بالإنتاج المعقلن والمنمّط والتوسعي والمركزي، إنتاج يسميه **دو سيرتو** بالاستهلاك .وهو يرى أن الأمر يتعلق بالإنتاج، فإذا كان الإنتاج لا يدل على نفسه بواسطة المنتجات خاصة فإنه يتميز من خلال أشكال المسايرة، أي أشكال استخدام المنتجات التي يفرضها نظام الاقتصاد المهيمن